نور الدين بلقاسم

الادب العربي والمستقبل

ان موضوع الادب العربي والمستقبل يقودنا الى البحث في دور هذا الادب ومدى مساهمته في تحرر المجتمع العربي وتقدمه الاجتماعي والاقتصادي .. ولكن هذا يقتضي منا البحث في الموضوع سنين عديدة .. وحسبي في هذا الموضوع ان ادلي برأيي في خصوص الادب الواجب ايجاده في المرحلة القادمة .

ذلك ان طبيعة موضوعنا هذا لا تقتصر على الادب كأدب ، انما هي تؤدي بنا الى ان ننظر الى الادب على انه جسر نعبر بواسطته الى عالم الآخرين ، وذلك لنكشف مدى الصراعات التي يمكن ان يصورها ادبنا ، ومدى الابعاد القومية الممكنة الوجود في أدب مستقبلي نأمل به ومن خلاله بناء مجتمع اشتراكي عادل .

ولا شك ان الادب العربي القديم ـ ولنطلق عليه اصطلاحا «مرحلة شق الطريق للفكر العربي » ـ الادب العربي في هذه المرحلة ادى دوره كاملا في كافة اطواره .

فلقد صور لنا الجاحظ عصره بدقة متناهية وابرز لنا مجتمعه بكل طبقاته واهتماماته في « البخلاء » و « البيان والتبيين » و« الحيوان » و « رسالة القيان » وغيرها من الكتب ، ووصف لنا بديع الزمان الهمذاني في مقاماته الطبقات التحتية المسحوقة اقتصاديا ، مما دفعها الى التحيل حتى تستطيع العيش .. /

وأورد لنا ابو الفرج الاصفهاني في « الاغاني » اخبار العرب واساليب حياتهم وتقاليدهم وصور لنا التوحيدي في « الامتاع والمؤانسة» الطبقات الفوقية ، طبقات الحكام وارستقراطية القصور .

ودافع المتنبي عن العروبة والاسلام في وقت تعددت فيه هجمات الروم على العرب وانقسمت فيه الخلافة .

وانتقد ابن المقفع السياسة وابدى رأيه فيها عن طريق الحوار بين كليلة ودمنة .

وفعل مثل هؤلاء كثيرون بيضوا تاريخ العرب بما تركوه من جليل التراث .

وفي العصر الحديث كان ادبنا المعاصر لا يقل اهمية عن ادب السابقين . ولنسم مرحلة الادب المعاصر « بمرحلة احياء التراث » اصطلاحا كذلك . لان احياء تراثنا استأثر بالجهود الكبرى للمفكرين العرب .

فأحمد امين القى اضواء على مراحل هامة من ثورة العرب المسلمين وعن ظروف الصراع الناشئة من هذا الدين الجديد وذلك في كتبه « فجر الاسلام » « وضحاه » « وظهره » ، وعمد طه حسين الى الوقوف موقف الناقد من التراث وخاصة الشعر العربي القديم .

وعمد العقاد الى الكتابة عن الاسلام وعباقرته ، كعبقرية محمد ، وعبقرية عمر وعبقرية خالد .

وشرح الادباء من اوائل هذا القرن ما يجب شرحه عن الادب التراثي ، واختصر بعضهم ما يجب اختصاره ليتناسب مع سرعة القرن العشرين ، مثال ذلك ما فعله البستاني في سلسلته الروائع .

وحاول المهجريون شق طريق جديدة في الفكر العربي المعاصر ، فنجحوا الى درجة كبيرة من حيث الاساليب والصور الادبية . ولكن هذا الادب كاد يقتصر على التغني بالذات وعلاقتها بالاشياء واستقطابها للوجود فالقدامى من الادباء قاموا بدور الريادة وشق الطريق للفكر العربي لا في الشعر والنثر فحسب وانما في الفلسفة والعلوم على اختلافها ، وقد كادت هذه العلوم تزداد وتنتشر بانتشار الدين الجديد وتوسع الامبراطورية العربية .

فهذه المرحلة من الادب والمعرفة هي مرحلة بناء اقتضتها ظروف انشاء امة جديدة خرجت للعالم بدين جديد يوحد بين البشر .

والمحدثون عملوا على احياء التراث ـ لا فقط لان الفكر العربي المعاصر يجب ان ينبني على الاسس الفكرية عند القدامى ـ وانما لان اوروبا الاستعمارية جعلت هدفها الاول القضاء على العرب وذلك بفرنجتهم عن طريق مسخ لغتهم ودينهم وتشكيكهم في قيمهم وتاريخهم والقضاء على تراثهم شيئا فشيئا .

فكان لا بد لكي يتحرك العرب لتحرير انفسهم من اثارة الشعور القومي وذلك باحياء التراث واجلاء الغبار عن امجاد الماضي .ولذلك نشأ في هذه المرحلة كثير من شعراء الوطنية المنادين بالتحرر من الاتراك والانجليز والفرنسيين مثال ذلك الرصافي ، وبدر شاكر السياب ، والشابي ، والجواهري وغيرهم . فاذا كان دور رجال الفكر الاوائل مستجيبا للظروف الموضوعية والتاريخية للامة فهل ان الادباء العرب في السبعينات وما بعدها من المراحل سيكون لهم نفس الدور الذي كان لسابقيهم ؟؟

ان الجواب على هذا السؤال يقتضي منا النظر الى الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع العربي الواهن . فنحن الآن محاصرون من جميع الجهات ، محاطون بالاعداء من كل النواحي ، فقدرنا هو ان ندافع عن كياننا لان القضية ـ في الفترة الراهنة ـ قضية حياة او موت ، فكل القوى المعادية لنا تسعى الى تعميق الهوة فيما بيننا ، وبيننا وبين الحضارة المعاصرة وذلك بابقائنا مجتمعا يستهلك ويستورد دون ان ينتج ويصدر . ان هم القوى المعادية لنا هو ان نبقى امة متخلفة ، شغلها الشاغل التحاسد والتباغض والتناحر بين

اقطارها ، وذلك حتى نشتغل بالصراعات الداخلية عن التقدم العلمي والتكنولوجي . وقد سعت القوى الاستعمارية انعالميه باعانه القوى الداخليه المخالفة لها الى ان تجعل من اسرائيل سرطانا ينحر كيان العرب وينهك قواهم .. ويشغلهم بالتسلح عوضا عن بناء المصانع ، ويجعل حياتهم متفجرة باستمرار ، لان المحافظة على الواقع الراهن وابقاء العرب على حالة التشتت والضياع والحيرة والتردد يضمن مصالح القوى المعادية لنا ، ولان الهاء العرب بالصراعات والهوامش الداخلية يترتهم على ما هم عليه ، دون ان يستطيعوا الاخذباسباب الحضارة من جديد ، وتبقى البلاد العربية سوقا رائجه لصناعات الدول المتقدمة .

ان الادب الذي يولد في مناخ كهذا اصبح فيه وجودنا في خطر ـ هذا الادب لا بد ان يكون مخالفا لما سبق ذكره من ادبنا العربي، وهذه المخالفة تكون في روح الادب نفسه ومضمونه ، وفي الرؤية الحضارية التي يطرحها ، ونموذج المجتمع المستقبلي الذي ينحته .

فالآن انتهى زمن الذاتيات والعواطف المنتهبة ، والمشاغل الفردية ـ لقد انتهى ذلك الزمن وجاء وقت الجد القاحل بالنسبة الى رجال الفكر المخلصين .

فحالة الانتظار والجمود والغيبوبة التي نحن فيها ـ ان واصلناها ستكون على حساب حياتنا نفسها .

دور الادب المستقبلي :

فالادب العربي المستقبلي الذي يجب ان يأخذ به رجال الفكر هو ذلك الادب المناضل الذي يعمد الى تعرية الواقع الذي نحياه ، فيكشف معميانه وتعرجاته ، ثم يوضح الاطار المرحلي والتاريخي المقبل الذي سيتحرك على ارضيته العرب جميعا ، ويرسم اثناء ذلك الخطوات الموصله والضامنة للنجاح ابان المسيرة الآتية :

فدور الادب المعاصر هو تجديد الرؤية الفكرية والاجتماعية والسياسية الخاصة بالفرد والمجتمع والتي تتخذمن قضايا العرب الاساسية موضوعا لها (1) وهذا لا يمكن الا باعادة الاعتبار الذي فقدته الكلمة في مرحلتنا الحالية ، فبتعلق اكبر قطاع من الجماهير بالادب والفكر يستطيع الاديب انواعي رسم الدور الحقيقي الذي يجب ان تلعبه الجماهير في التنمية وبناء المجتمع العادل . وبايضاح الرؤية الحضارية والفكرية المستقبليتين يمكن ان يكون للادب دوره وممارساته الفعلية على ارضية الواقع فيكون بذلك الادب « طريق تغيير لا في الطبيعة كما يفعل التاريخ انما في جوهر تكوين الافراد وفي اساس تركيب المجتمع بما يحدثه في الحياة الاجتماعية من فاعلية مؤثرة (2) .

ذلك ان مجتمعنا العربي الراهن يحتاج الى تغيير بنيته ، لان العناصر التي يتكون منها مجموعة من عناصر متنافرة لا تقوم بينها علاقات تنتظم تحت قوانين معينة ، وبالتالي فان الجملة (totalité) الاجتماعية يشوبها المسخ ، لان العناصر التي تكونها غير طبيعية في علاقاتها ولان التنافر والتقابل يسودانها .

ولا شك في ان الادب الذي يقوم بدوره التاريخي ولا يقف موقف المتفرج من الاحداث حتى لا يكتسب « وجودا مستقلا عن عمليات الصراع في المجتمع والحياة » (3) .. هو ادب فاعل ، ولا يمكن ان يكون ملغى ، وستكون له الساحة الواسعة على خريطة المستقبل ، وسيتعزز هذا الادب اكثر كلما كانت مؤثراته المستقبلية اصح واكثر دلالة وتعبيرا عن مطامع الجماهير ، ذلك لان الصراع سيزداد شدة وسيحتد اكثر في المجتمع العربي بين طائفتين كبيرتين : طائفةمحافظة وهي الاغلبية ، تنتمي الى الماضي اكثر من الحاضر ، وهي ماسكة بزمام الاقتصاد السياسي في هذه المرحلة ، وقد جعل الاستعمار العالمي من هذه الطائفة حارسا امينا لمصالحه فيالمنطقة ، وقد احست هذه الطائفة بمزاحمة الاجيال الجديدة المستقبلية فشرعت تدافع عن مصالحها بشتى الطرق ، وخاصة بابقاء دار لقمان على حالها .. وطائفه ثانية وهي اقل من الاولى عددا وعدة . ولكنها مستقبلية النزوع والانتماء ، تسعى الى اطلاق سراح المجتمع الراهن من كل القيود التي تكبله ، ولكن لان هذه الطائفة ليست ـ في اغلب الاحيان ـ من الصفوف الامامية ، ولا يوجد اصحابها في مراكز القوة لتستطيع تنفيذ مخططاتها المستقبلية ، فانها عمدت الى توعية المواطنين بالقلم ووسائل الاعلام ومحاوله تكوين الاحزاب ، وذلك حتى تهيىء الجماهير لمرحلة الصراع المقبله ، التي ستكون وحشية بازدياد هجمة المحافظين المحالفين مع الاستعمار . ولكن الغلبة في النهاية ستكون للتقدميين على كل القوى المعارضه ، لان التاريخ يجري لصالحهم ولان التطور البشري يفرض ذلك ، والاديب العربي المستقبلي هو الذي يقف صامدا ابان هذا الصراع ، مساندا للقوى التقدميه في غير حرج وفي غير خوف ، وهو الذي يحسن الاختيار ـ رغم الظروفالصعبة في مواقفه، ويحسن التمييز بين الزبد وبين ما ينفع الناس ، وهو الذي يجعل ادبه فائدا لنضالات التقدم التي ستتفجر اكثر على الساحه العربية بازدياد كثافة القوى التقدمية . فدور الادب العربي في المستقبل هو دور نضالي ، يتمثل في محاربة التجهيد الذي تمارسه القوى الخارجية والداخلية على الوطن العربي والحياه العامة ، وذلك حتى لا نبقى تحت تراكمات القيود المختلفة .

فرسالة الادب المقبله هي اذن رسالة توعية واخذ بيد « القوى الجديدة التي تتحرك بنوازع حية »(4) لتغيير الواقع الراهن وابداله بواقع جديد .

التغيبة في الادب جبن وهروب :

ولا يمكن أن يكون هذا الدور الطليعي للاديب الا بتثوير الادب وخروج الاديب العربي نفسه من منطقه التعمية والضباب ، اعني ان يبتعد عن التقيه لانها جبن وهروب من المسئولية وذلك كان يغرق الشاعر قصيده في الرموز ، فيعمد الى جمع الضباب وتكثيفه فيه، مما يجعل الشعر للنخبة المتازة لا للجماهير ، وهذه التقيّة تبعد الشعر عن الدور الطليعي الذي يجب ان يلعبه ، وهو دور المواجهة، لتغرفه في سلبيات وهامشيات قلما يصل بسببها المضمون الادبي سليما للقارىء ، لان الشحنة التثويرية الكامنة في الخيال والعاطفة والجرس الموسيقي والمضمون السياسي او الاجتماعي الذي تحمله القصيدة والذي يهم الجمهور بالذات ـ هذا المضمون ينميع في اذهان القراء نتيجة التقية ، وذلك لاختلاف مستوى القراء انفسهم في التكوين والثقافة ، وللتفاوت بينهم وبين مستوى الشاعر الفكري والعاطفي من ناحية ثانية .

وفي اعتقادي أن الجنس الادبي الذي سيكون جسر الوعي بين الاديب والامة هو الشعر ، لما للشعر من تاثير في العرب ، ولما في انفسهم من استجابة له .

ولكن رسالة الشاعر لا تتم الا اذا كانت لغته سهلة بسيطة تاخذ الافكار دون لف ودوران ، وتعبر عن المواجهة بشجاعة ونجد ..

ولنورد في هذا الصدد مثالين لشاعرين عربيين الاول نزارقباني والثاني الميداني بن صالح من تونس .

فنزار معجم اللغة الشعرية عنده من عربية بسيطة يفهمها حتى الاطفال في السنوات الاولى ابتدائية ، فلقد نجح نزار الى حد بعيد في اختيار القاموس اللغوي المستقبلي ، وان كنت لا اوافقه على استغلاله للكبت الجنسي في العالم العربي ، مما جعله يندفع وراء الغزل والتغني بالمرأة . ولو كان شعر نزار العاطفي شعرا ملتزما بقضايا العرب القومية لكان رائد الشعر الثائر في عصرنا ، لان النجاح الذي حققه في قصائده القومية ـ على قلتها ـ بعيد المدى ، فطالما

سمعت الناس يرددونها في المجالس الخاصة وغيرها ، لان نزار جمع في هذه القصائد بين الوضوح في الرؤية والقصد ، وبين بساطة التعبير وعمق الخيال وبين الجرس الموسيقي والاحاطة بالتاريخ العربي وبامجاده والتخلص من السفية والتعميه .. واعتبر الشاعر التونسي الميداني بن صالح من الشعراء القلائل الذين استطاعوا اختيار قاموسهم اللغوي البسيط فقد كتب هذا دواوينه :« قرط امي » و« الليل والطريق » و « زلزال في تل ابيب » و « مذكرات خمّاس » كتب هذه الدواوين بلغة تحمل سمة المواجهة والواقعية ، وتحمل شحنة العاطفة وقوة الخيال ، وحس الاغتراب ، وشراسة الاحساس بقساوة الواقع ، فتكهرب انغاريء ، وتفرس في نفسه المضامين والابعاد التي اراد الشاعر ايصالها اليه .

وما يمتاز به هذا الاخير عن الاول هو تسخيره كل جهوده الشعرية من اجل النضال في سبيل حرية الانسان العربي وخروجه من وضعه الراهن . فشعره لا نقيه فيه ولا هروب وهو مثال الشعر المستقبلي المسئول ، فالضرورة تقتضي ـ في هذه المرحلة والمراحل المقبلة ـ ان يضع رجال الفكر النقاط على الحروف ، وان يبتعد الشعراء عن الحلم الفارغ ، يقف في صف المواجهة ، وان يراعوا جمهور القراء على اختلاف مستوياته ، وذلك حتى لا يكون الادب صيحة في قفر ، وحتى تصل الرؤية المستقبلية عند رجال الفكر الى اكبر قطاع من الناس .

فالفكر الايجابي التقدمي المحسس لآلام الاخرين هو الذي يحدله هذا النوع من الادب ، لانه يجعل من واقع الامه الحي النابض المرجع الاول والاخير لمضامينه ، ثم يعمد الى تثوير الجماهير لانها هي الطرف الاساسي المقصود في كل نشاط فكري واقتصادي واجتماعي ، ولانها هي التي تستطيع ان تقود الصراع وتوجهه نحو الاحسن والافضل .

ولا شك ان الاديب كلما اخلص للقيم الانسانية وتعمق في مشاغل طبقته وابرز آلامها ومعاناتها ، جعل لادبه قيمة اكبر ، لان المرحلة العالمية تقتضي ـ من كل منا في ميدانه ـ المواجهة والصلابة .

التقابل بين الاديب والواقع :

وفي هذه الفترة ليس هناك مجال لغير النضال ، لان الانسانية باسرها عانت منذ طفولتها من ظلم الاقوياء للضعفاء ، وجور الحكام على المحكومين ، ولان الوعي الان قد نور ثم اثمر ، ولم يبق الا جني قطافه ، هذا الوعي الذي اكتسبه الآن بفضل الحضارات القديمة التي صبت تجاربها كلها في حضارتنا المعاصرة .

فحضارتنا اليوم هي خلاصة الحضارات القديمة بالاضافة الى ما بذله المعاصرون من جهد للسير بالانسانية نحو الاحسن ، وفعلا فقد وصلت البشرية اليوم الى درجة من الثقافة والنضج الاجتماعي والسياسي بصورة لم تعد تتحمل فيها الظلم اكثر مما تحملت .

ولعل هذا ما جعل القوى التقدمية في مرحلتنا هذه تنهض في كل مكان من الارض وفي اعتقادي ان اول الواعين التقدميين هو رجل الفكر الحق . ووعيه بذاته يتماشى طردا مع اقترابه من الشعب ، لانه وقتها يخرج من ابراجه العاجية ليعرف الحياة بالممارسة ، وعندها يستطيع ان يهدم وعيه بالحياة ويصدر وعيه الفكري . ولكن عندها لن يكون في سلام ، لان القوى المعادية للتقدم وللواعين من اصحاب العيون المفتوحة وقتها ستهجم عليه وتناصبه العداء ، وتجعل منه هدفا لسهامها ، وتسعى للاطاحة به لخوفها منه على مصالحها .

ذلك ان الواقع العربي فضلا عن كونه لا يقتصر على عدم توفير اساسيات الحياة وتلبية الرغائب والتطلعات المشروعة للقوى التحتية ، كثيرا ما يقف بعدوانية في وجه المبدعين المنتمين لتلك القوى (٥) ويعرقل مبادراتهم الخلاقة ، وهو بهذا يمنعهم ويحاصرهم بضغوطه واكراهاته المختلفة ، الظاهرة والمضمرة . وبهذا أيضا يكون الموقف او العلاقة بين الفنان والواقع لا مجرد قطيعة فحسب ، وانما سرعان ما تستحيل هذه القطيعة الى أزمة ثم الى فاجعة (٦) .

الفكر الرائد والفكر الصدى :

وفي اعتقادي انه لكي يخرج الاديب من الحلقة المفرغة التي يدور فيها الكثيرون ولكي يكسر الطوق المحيط به وبالآخرين لابد من التفريق بين نوعين من الفكر « الفكر الرائد والفكر الصدى ». فالفرق بينهما شاسع وكبير .

الفكر الصدى هو الذي يعلق على ما يقع من احداث في الحياة والمجتمع فيصفها ويحاول ان يتعرف على اسبابها ومراميها لا غير ، وجل ما يكتب في الصحف والمجلات العربية هو من هذا القبيل .

اما الفكر الرائد فهو الذي يخلق الاحداث ويثيرها ويقودها ويوصلها الى النتائج التي يحتمها التطور و ونشترطها حركية المجتمع ، لانه بدون هذه الحركية لا يحقق التقدم ولا تبنى الحضارة.

فالفكر الصدى هو الذي يتتبع الاحداث من خلف لمعرفة طبيعتها واسباب انفجارها لا غير .

اما الفكر الرائد فهو الذي يخلق هذه الاحداث وينفي السكون والجمود وحالة الفيبوبة والانتظار . الفكر الصدى هو الذي يعلق على زحف الشعوب للتقدم . اما الفكر الرائد فهو الذي يقود مسيرات الشعوب في المسالك الوعرة ليفضي بها في النهاية الى هذا التقدم (٧) .

ونحن في هذه الفترة الدقيقة من حياة امتنا ـ هذه الفترة التي نشاهد فيها الهجمة الامبريالية والصهيونية الشرسة على ثروتنا وحضارتنا وقيمنا وتراثنا ـ في هذه الفترة نحتاج الى فكر رائد وشجاع يصفي الحساب مع اوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لنأخذ ما هو صالح منها ونترك ما هو طالح . ثم يستنبط هذا الفكر الرائد من مجموع الصراعات والتناقضات القائمة بحدة في المجتمع العربي ـ يستنبط منها ايديولوجية رائدة توحد بيننا ، وتجعل جهودنا كلها في مواجهة الاعداء ، لا في مواجهة بعضنا بعضا .

ولا ننكر ان القصة العربية بتونس والمغرب الاقصى والعراق قد حاولت تحليل القضايا العربية ، ولكن هذا التحليل كان من وجهة نظر فردية وليس من وجهة نظر الامة .

وما يلفت النظر في الانتاج الادبي المعاصر هو هذه الفردية بكل ابعادها وانعكاساتها مما جعل الادباء والشعراء يكبون بدافع الرغبة في التعبير عن ذواتهم واوضاعهم النفسية المتردية . والمطلوب من ادبنا في المرحلة المقبلة هو الالحاح على المشكلات العامة دون الخاصة وابراز المطامح المشتركة المفقودة .

فالرغبة في الافصاح عن مشكلات الذات لا بد ان ترتبط بالرغبة في الافصاح عن مشكلات الواقع المنطلقة من نشدان التغيير ، والعمل على تحرير الواقع نفسه وتحسينه بكيفية جذرية قصوى وشاملة .

ولا شك ان القطيعة القائمة بين رجال الفكر والواقع هي التي تدفعهم الى ان يعبروا عنها في كتاباتهم محاولين تجاوزها ولكنهم كثيرا ما يفشلون فيغرقون في التغني بآلامهم والحديث عن عالم مثالي من صنع الخيال لا يوضح معالم المستقبل ، وذلك لان القطيعة اثرت فيهم ، لانها واقعية واجتماعية ، اي بنيوية ايديولوجية ، ومن هنا كانت حدتها وقوة صدمتها عليهم .

ارجاع الاعتبار للكلمة :

ان السباق نحو التنمية واللهاث وراء النهوض الاجتماعي ومحاولة

تبديل هياكل المجتمع كلها جعلت اهل الحل والعقد عندنا لا يهتمون بالثقافة اهتمامهم بالاقتصاد ، ولا يعتبرون الادب مثل اعتبارهم للصناعة والفلاحة ، وذلك لاننا نفصل بين النهوض الاقتصادي والاجتماعي وبين النهوض الفكري والثقافي الذي هو رأس كل تقدم.

وقد ادى هذا بالبعض منا الى اعتبار الادب من توافل القول ، والثقافة مجرد تلهية للجماهير وترفيه عنها .

وقد قام كثيرون بمحاولات يصورون فيها الادب وانفن على انهما ظاهرة معزولة عن تيارات المجتمع وتقلباته السياسية والاجتماعية ،وقد خلفه جماعة هذا الاتجاه بالذات وجعلوا من الادب غاية بينما هو مجرد وسيلة لزعزعة الكيانات القديمة وزحزحة الافكار البالية،وابعاد المحافظة ، ومحاربة الاقليمية والطائفية . وشيء ثالث نلل من خطر الادب في المرحلة الحاضرة ، فقد صار الناس لا يؤمنون الا بما هو مادي ملموس ، فكل ما لا يملأ البطن ، ولا يسكن نوازع الجسد ليس له اعتبار عند الكثير منا ، وكان ذلك هو حظ الادب باعتباره فقد كثيرا من سيطرته على الواقع لانه يتعلق بالفكر والروح .

والحقيقة ان سعرنا العربي على الخصوص اتسم قسم كبير منه بالتزييف والبكاء على اعتاب الملوك وذوي الجاه ، فنسبة هامة من شعرائنا يهجون ويمدحون وهم يكذبون في الحالتين وهذا ما احدث انطباعا سيئا عند الاجيال المعاصرة ، مما وطد عند البعض الاعتقاد بان الادب مجرد بذخ وزخرف ليس له صلة بنضال الجماهير الا من بعيد .

والراي عندي ان ارجاع الاعتبار للكلمة لا يكون الا بواسطة الكلمة المناضلة نفسها التي تقوم مقام البندقية ، لان الجيل المعاصر هو جيل الشخصية الذاتية لا يستجيب الا لادب النضال ـ ادب المستقبل.

ولعل هذا ما جعل الشعر الغزلي يخفت صداه في هذا العقد الذي نعيشه ، فالادب المحارب الممهد للسبل المستقبلية هو الذي سيمحو العار الذي الحقه بعض المتزلفين والوصوليين بالكلمة ،ولا يوجد القلم المناضل بحق الا اذا وجد المفكر المؤمن بنفسه وقدراته، والمؤمن برسالة قومه في تقدم الانسانية (٩) .

ان وعي رجال الفكر بحقيقة المرحلة الحاضرة التي نعيش مؤثراتها بكل اعصابنا هذا الوعي هو الذي سيجعل ، رجال الفكر انفسهم يمتلكون قدرة السيطرة على حركة المجتمع ويوجهون مؤشراتها بصورة واعية ، مشكلين عنصرا فاعلا » (١٠) في التطور نحو الاصلح والارقى .

وخلاصة القول ان الادب في المرحلة القادمة يجب ان يكون دوره مخالفا « لمرحلة شق الطريق » و « مرحلة اعادة احياء التراث »اللتين ذكرتهما في مقدمة هذا البحث .

فالادب في المرحلة الآتية مسئول عن تطوير هيكل المجتمع وتغيير عقلية الانسان العربي المعاصر .

هذه العقلية التي لا تزال في كثير من الاحيان خاضعة للقضاء والقدر ، مكتفية بمعاداة الواقع ، دون ان تأخذ المبادرة للسيطرة عليه، وتوجيهه حسب ما تقتضيه الارادة الجماعية . والادب في المرحلتين الحاضرة والآنية تلقى على عاتقه مسئولية نحت النموذج المجتمعي الذي يجب ان يوجده العرب . وهو خلال ذلك مطالب بالبحث عن منطلقات جديدة في الفكر والعقيدة والسلوك ، وايجاد فلسفةاجتماعية مغايرة لما هو موجود ، بحيث تكون فيها العلاقات بين الفئات الاجتماعية علاقات تعاون وتكامل وتعادل ، لا علاقات تطاحن وتناقض وتسابق على الوفرة والكسب ، الشيء الذي كشف الصراعات بين الطوائف المختلفة ، وعمق الهوة بينها في التفكير والعقيدة والسلوك .

باختصار شديد فان دور الادب في المرحلة القادمة يتمثل في وضع الانسان العربي على عتبة المواجهة والتحدي لظروفه النفسية والاجتماعية والعالمية ، واخراجه من هذه « الفردية المفرطة التي جعلت كلا منا يدور في فلك نفسه ويبحث عن مصلحته ، وتذهل عن فلك الامة ومصلحتها العامة » (١١) .

المصادر :

١ ـ مجلة الاقلام ـ عدد ٦ ـ السنة ١٢ ـ آذار ١٩٧٧ ـ مقال : مقدمات نظرية في القصة المغربية القصيرة ـ للبشير الوادنوني ـ ص ٥ .

٢ ـ مجلة الاقلام ـ عدد ٦ ـ السنة ١٢ ـ آذار ١٩٧٧ ـ مقال : نحو ثقافة عربية جديدة ـ لماجد صالح السامرائي ـ ص ٣٩ .

٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ نفس المرجع السابق .

٧ ـ انظر مقالي: « الفكر والتطور البشري » مجلة الفكر ـ فبراير١٩٧٥.

٨ ـ انظر كتاب (مواقف) للاستاذ محمد مزالي . ص ١٠٠ ـ ط الشركة التونسية للتوزيع ـ سنة ١٩٧٣ .

٩ ـ نفس المرجع السابق ـ ص ٨٩ .

١٠ ـ الاقلام ـ عدد ٦ السنة ١٢ ـ ص ٥٩ .

١١ ـ مجلة المعرفة السورية ـ عدد ١٨١ ـ آذار ١٩٧٧ .
مقال نحن والتراث ـ لحافظ الجمالي ـ ص ٣٠ .

دراسات ادبية

من منشورات دار الآداب

مذكرات طه حسين	د . طه حسين
من ادبنا المعاصر	» »
تجديد رسالة الغفران	خليل الهنداوي
الادب المسؤول	رئيف خوري
بين آدم وحواء	د . زكي مبارك
التكسب بالشعر	د . جلال الخياط
شخصيات من ادب المقاومة	سامي خشبة
سيمون دوبفوار او مشروع الحياة	فرانسيس جانسون
كامو والتمرد	لدولوبيه
بابا همنغواي	ا . ا . هوتشنز